المؤرخ ابن الساعي (593-674هـ) ومنهجه في كتابه المقابر المشهورة والمشاهد المزورة

إعداد

ثروت محمد عبد العزيز أمين

إشراف

أ.د عبدالباري محمد الطاهر

أستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية، رئيس قسم التاريخ الاسلامي

كلية دار العلوم، جامعة الفيوم

المستخلص:

يعد ابن الساعي من أهم المؤرخين، في القرن السابع الهجري. أولى الخلفاء العباسيين اهتماما بالغا، وكذلك عاصمة دولتهم بغداد، والدراسة الحالية تسلط الضوء على كتاب ابن الساعي المعنون: بالمقابر، وتحاول أن تبين المنهج الذي سار عليه في كتابة مادته الحضارية والتاريخية المتصلة بعصره، آنذاك.

الكلمات المفتاحية:

"ابن الساعي، المقابر، المشاهد، المنهج".

Abstract

Ibn Al-Sai was considered one of the most important historians, in the seventh century AH. The Abbasid caliphs paid great attention, as was the capital of their state, Baghdad, and the current study sheds light on Ibn Al-Sai's book entitled: In the Graves, and tries to show the method that he followed in writing his civilizational and historical material related to his time at that time.

مقدمـــة

الحمد لله محيي الأموات، ومميت الأحياء، والصلاة والسلام على سيد الخلق، وخاتم الأنبياء، سيدنا محمد ﷺ، أما بعد،،،

قال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير[1]:

ما مثل بغداد في الدنيا ولا الدين على تقلبها في كل ما حيـــن

ما بين قطربـــل فالكـــرخ نـــرجسه تندى، ومنبت خيري ونسرين

وقال بعض الفضلاء: بغداد جنة الأرض ومدينة السلام، وقبة الإسلام، ومجمع الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف، وبها أرباب الغايات في كل فن، وآحاد الدهر في كل نوع[2].

وارتفعت قامة بغداد بين عواصم العالم، بفضل ما نالت، وفضل ما وهبت، ولما لا وهي حاضرة الخلافة العباسية، ارتقت واصابتها سمعة عريضة، وأصبحت محط أنظار العلماء، وانفردت في حقبة مديدة من الزمن بمركزها العظيم المعطاء، وهي لمدة خمسة قرون ونصف القرن ونيف من السنوات، كانت إحدى أكبر المراكز الحضارية والثقافية الفكرية في العالم، إنما كانت فريدة زمانها ووحيدة عصرها الذي امتد هذه القرون الخمسة.

ولا شك أن هذه المكانة العالية التي حظيت بها بغداد، جعلها تنال اهتمام المؤرخين القدامى والمحدثين، فألفت كتب عن فضائلها، وكثرت الكتب عن علمائها، بعضها مختص بعلماء علم محدد أو مذهب معين، وبعضها شامل لأكثر من ذلك، وآخر عن خططها ومعالمها، فظهر في الكتابات التاريخية منذ وقت مبكر اهتمام

([1]) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، ص 462.

([2]) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص 461.

بعض المؤرخين بتسجيل خطط ومعالم مدينة بغداد؛ وخير مثال لذلك ابن طيفور(ت 280هـ/893 م) حينما وضع مقدمة كبيرة عن خطط بغداد قبل حديثه عن الخلفاء العباسيين في كتابه: (كتاب بغداد)[1]، وتتوج هذا بكتاب (تاريخ مدينة السلام)[2] للخطيب البغدادي(ت463هـ/1070م)، الذي ضم تراجم سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين من علمائها، خاصة في علوم الحديث بالإضافة إلى مقدمته الضافية في خططها، وتميز كتاب الخطيب البغدادي بذكر مساكن أو مدافن عدد غير قليل من علمائها، مما له فائدة كبيرة في تتبع استمرار العمران في كثير من مناطقها.

ومن بين المؤرخين الذين أدركوا أهمية توثيق خطط مدينة بغداد ومعالمها – ابن الساعي[3]– ، وهو ما يعرف الآن بعلم الطبوغرافيا[1]، فكان أكثر تخصصًا في

([1]) انظر ابن طيفور: كتاب بغداد، تحقيق إحسان الثامري، دار صادر، بيروت، ط1، 2009م، مقدمة محققه، ص ص7–8.

([2]) انظر الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها من العلماء من غير أهلها وواريديها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، مقدمة محققه، ج1، ص75.

([3]) هو الإمام المؤرخ البارع علي (الخازن) بن أنجب (الساعي) بن عثمان بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم السلامي البغدادي الشافعي، ولد بمدينة بغداد سنة 593هـ/1197م، وأخذ العلم عن مشاهير علماء عصره، وكانت علوم الحديث والفقه أولى العلوم التي اشتغل بها ابن الساعي، وأخذها عن عدد من العلماء أمثال: أبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد المعروف بابن الصَّفار، وأبو محمد عبد العزيز محمود بن المبارك المشهور بابن الأخضر، وأبو الحسن علي بن محمد بن اللباد، وبعد أن أخذ ابن الساعي حظًا من علوم الحديث والفقه أقبل على علم القراءات، فقرأ القرآن على أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، واتجه ابن الساعي إلى دراسة علم التاريخ، وحرص على أخذ هذا العلم عن مشاهير مؤرخي العراق في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؛ منهم أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن حسين البغدادي، المشهور بابن القطيعي، والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن حجاج الدبيثي الواسطي الشافعي، والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي المعروف بابن النجار، وحصّل من العلم الكثير، وأصبح عالمًا بالفقه والتفسير والحديث،

كتابه الذي بين أيدينا " المقابر المشهورة والمشاهد المزورة"، فقصره على مقابر المدينة، دون المعالم الأخرى، فقد اهتم بتوثيق مقابر مدينة السلام، ومن دفن فيها من الصلحاء والأولياء والملوك والكبراء، ومشاهدها المخصوصة بإجابة الدعاء كما كان يعتقد بعض العامة، ومن جانب آخر اهتم بتسجيل أسماء من دفن من المشاهير في تلك المقابر، وكان هذا شرط الكتاب كما هو واضح من عنوانه.

والكتاب يمثل مصدرًا مهمًا للباحثين في التاريخ الإسلامي عمومًا، وتاريخ العراق وفي القلب منها مدينة السلام خصوصًا، ولا سيما فيما يتعلق بالناحية

بارعًا في التاريخ وعلومه. وكانت له جهود واضحة في نشاط الحركة العلمية في بغداد، وتشهد مؤلفاته الكثيرة المتنوعة بمكانته العلمية، فقد ترك من المصنفات – بالإضافة إلى المقابر المشهورة– كتاب "الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير"، وكتاب "الدر الثمين في أسماء المصنفين"، وكتاب "نساء الخلفاء" وغيرها من المصنفات المفيدة في بابها. كما يدلل ما أورده من معلومات حضارية في كتاب "المقابر المشهورة والمشاهد المزورة"، وما أظهره من حس تاريخي خلاله على معرفته التامة بهذا العلم. توفي بمدينة بغداد سنة 674هـ/1275م. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر أياد، الهند، 1960، ج3، ص 147؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تزكي مصطفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج20، ص159؛ الإسنوي: طبقات الشافعية، ط1، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971م، ج2، ص 70، ص137؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص 509؛ مجهول: كتاب الحوادث، تحقيق د. بشار عواد معروف، و د. عماد عبد السلام رؤوف،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 422؛ ابن رافع السلامي: تاريخ علماء بغداد المسمى "بالمنتخب المختار"، صححه وعلق على حواشيه المحامي عباس العزاوي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط2، 2000م، ص 110-111؛ الطهراني: آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة "القرن السابع"، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2009م، ج4، ص101.

([1]) الطبوغرافيا: بيان الملامح العامة لسطح الأرض طبيعية كانت أو مصنوعة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م، باب الطاء، ص 551.

الحضارية، كما يكتسب الكتاب أهمية خاصة لتوثيقة مقابر الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الثاني، ولعل ما يعزز تلك الأهمية أيضا كون مؤلفه معاصرًا لكثير من الأحداث المذكورة، يسجلها كما رآها وعرفها؛ فهو شاهد على تشييد بعض المقابر وما كان يدور فيها من نشاط اجتماعي ورسمي.

وتحاول ورقات هذا البحث الكشف عن أهمية كتاب "المقابر المشهورة والمشاهد المزورة"، ومنهج ابن الساعي في كتابته، وبيان موضوعاته والأسلوب الذي اتبعه المؤلف في عرضها والموارد التي استقي منها معلوماته، وذلك من خلال مبحثين: الأول بعنوان محتويات الكتاب وتنظيم مادته، والثاني بعنوان: منهجية ابن الساعي في كتابه المقابر، ثم خاتمت البحث بخاتمة عرضت فيها لنتائجه، ثم مصادر ومراجع البحث.

و في النهاية أسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى ما يحب و يرضى إنه و لي ذلك و القادر عليه.

المبحث الأول

محتويات الكتاب وتنظيم مادته

المطلب الأول: محتويات الكتاب:

لم يتحدث ابن الساعي في بداية كتابه" المقابر المشهورة" عن محتويات الكتاب، كما يفعل بعض المؤرخين، ولكن من دراستنا لمحتويات الكتاب، ومن خلال الجهد الذي قدمه المحقق في تنظيم مادته، تبين أنه تناول فيه ذكر مقابر مدينة السلام، ومشاهدها المشهورة، ومن دفن فيها، فاحتوى الكتاب على ما يأتي:

- **أولًا: ذكر مقابر الجانب الغربي[1].**
- **ثانيًا: ذكر مقابر الجانب الشرقي القديمة والمحدثة بظاهر البلد[2].**
- **ثالثًا: ذكر المقابر التي داخل البلد القديمة والمحدثة[3].**
- **رابعًا: ذكر المقابر التي في أسفل البلد[4].**
- **خامسًا: ذكر مشاهد مدينة السلام المقصودة بالزيارة والإعظام[5].**
- **سادسًا: مقابر الخلفاء العباسيين في الجانب الشرقي[6].**
- **سابعًا: مقابر الخلفاء العباسيين في الجانب الغربيّ[7].**
- **ثامنًا: مقابر الخلفاء العباسيين خارج بغداد[8].**
- **وختم الكتاب بذكر تربة سَلجوقي خاتون زوجة الخليفة الناصر لدين الله[9]، وتربة زُمُرُّد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله[10].**

([1]) ابن الساعي: علي بن أنجب البغدادي (ت674هـ/1275م)، المقابر المشهورة والمشاهد المزورة، تحقيق إحسان ذنون الثامري، دار الفاروق، الأردن، ط1، 1435هـ/2013م، ص5. وهي النسخة التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

([2]) المقابر المشهورة، ص19.

([3]) المقابر المشهورة، ص23.

([4]) المقابر المشهورة، ص33.

([5]) المقابر المشهورة، ص35.

([6]) المقابر المشهورة، ص50.

([7]) المقابر المشهورة، ص61.

([8]) المقابر المشهورة، ص66.

([9]) المقابر المشهورة، ص75.

([10]) المقابر المشهورة، ص77.

ومن خلال دراسة محتويات كتاب " المقابر المشهورة " تبين لنا ما يأتي:

أولًا: احتوى الكتاب على (6) موضوعات، خصص منها (4) موضوعات للمقابر، و(1) موضوعًا للمشاهد، و(1) موضوعًا خصه بمقابر خلفاء الدولة العباسية؛ فذكر على ما يقرب من (31) مقبرة، و(12) مشهدًا.

واحتوى -أيضًا - على ما يقرب من (265) من الأعلام، ما بين المترجم لهم، والناقل عنهم بالحديث أو الإسناد أو المشافهة.

ثانيًا: اعتمد ابن الساعي طريقة حاول بها ترتيب كتابه وفق الترتيب الزمني لتاريخ تشييد المقابر، وذلك بذكر المقابر القديمة أولًا ثم المقابر المحدثة.

ثالثًا: حرص ابن الساعي على إعطاء القارئ صورة واضحة ومتكاملة عن المقابر، فيذكر اسم المقبرة، ونسبتها، وموضعها، بأي جانب من جوانب المدينة، وبأي باب من أبوابها، وما يجاورها، ويصف ما بها من نقوش[1]، وأول من دفن بها، ومن دفن بها من الأولياء والصالحين والمراء والأعيان، كذلك ذكر ترجمة لهم، يذكر فيها اسمه، وبعض صفاته، وأحيانًا يذكر شيء من مصنفاته[2]، وتاريخ وفاته.

رابعًا: احتوى الكتاب على معلومات جغرافية، وعمرانية، واقتصادية، واجتماعية، لها جانب كبير من الأهمية، بالإضافة إلى تراجم العديد من أعلام ذلك العصر، فتفيد القارئ في التعرف على معالم التاريخ الفكري والحضاري للأمة الإسلامية في ذلك العصر.

ولا يقف المؤلف عند ما بقى في عصره أو عهده من قبور، بل يتطرق إلى ذكر ما اندثر من قبور الأبرار ومشاهدهم ومزاراتهم، أو ما تم استحداثه في عصره من مقابر.

([1]) المقابر المشهورة، ص30.

([2]) المقابر المشهورة، ص31.

المطلب الثاني: تنظيم المادة العلمية:

على الرغم من عدم تقسيم الكتاب إلى أبواب، إلا أن ابن الساعي بسبب تمرسه، وعقليته التاريخية المنظمة التي يتمتع بها؛ جعل كتابه منظومًا كنظم القصائد، فجاءت فقراته منسابة تسلم بعضها بعضا، تربطهم الوحدة العضوية للموضوع المتناول، ما يجعل قارئه يشعر وكأنه يرى تلك المقابر وزوارها رأي العين.

والمتتبع لمنهج ابن الساعي في تنظيم المادة العلمية لهذا الكتاب يلاحظ أنه قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام كبيرة:

- **القسم الأول: ذكر مقابر بغداد.**
- **القسم الثاني: ذكر مشاهدها.**
- **القسم الثالث: ذكر مواضع قبور الخلفاء العباسيين.**

وخرج ابن الساعي عن شَرْطه في هذا الكتاب – تتميمًا للفائدة – فذكر أماكن دفن من مات من الخلفاء العباسيين خارج بغداد، وختم كتابه بذكر تربتان قد أنشأتا في خلافة الناصر لدين الله، احتوت على مقابر ثلاث سيدات، كانت لهن مكانة وحضور في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وهنّ: الأولى الجهة الشريفة زُمرّد خاتون والدة الناصر لدين الله، والثانية زوجته سلجوقي خاتون، أما الثالثة فهي بنفشا بنت عبد الله الرومية.

معتمدا في ذلك طريقة حاول بها ترتيب كتابه وفق التنظيم التسلسلي لتاريخ تشييد المقابر، وذلك بذكر المقابر القديمة أولًا ثم المقابر المستحدثة.

بقي أن أشير قبل الانتقال إلى الحديث عن المادة التاريخية والحضارية في الكتاب إلى مسألة مهمة هي: <u>إشكالية العنوان:</u>

(المَقَابِرُ المَشْهُوْرَة وَالمَشاهِدُ المَزُوْرَة): اشتُهر الكتاب بهذا العنوان؛ وذكر في كشف الظنون[1]، وهدية العارفين[2].

وطبع هذا الكتاب مؤخرًا بهذا العُنوان، بتحقيق الدكتور: إحْسَان ذنون الثامري[3]، غير أن الطبعة الأولى للكتاب والتي بتحقيق العالمين المغربين: أحمد شوقي بنين، ومحمد سعيد حنشي، هي بعنوان (المَقَابِر وَالمَشَاهِد بِجَانب مَدينة السَّلام وَمَواضع قُبور الخُلفاءِ أَئمة الإِسلَام)، منشورات الخزانة الحسينية، مراكش، سنة 2008م، أصوب.

فلِمَا عَدَل المحقق- إحسان ذنون الثامري- أو الناشر عن العُنوان الصحيح إلى ذلك العنوان خلاف الصواب؟ وذلك دون أن يفرد في مقدمة تحقيقه مبحثًا عن عُنوان الكتاب، يذكر فيه كل ما يتعلق بذلك، من العُنوان الذي على النسخة الخطية، والوسائل التي عرف من خلالها عُنوانه، وعلى أدلّة ترجيحه في حالة وجود اختلاف، وغير ذلك، حتى يتيح للقرّاء الاطمئنان إلى صحة عنوان الكتاب، أو ليتمكن الدارسون أن يتوصلوا إلى معرفة العنوان الصحيح فيما إذا لم يحالفه الحظ.

ولا ندري من أين أتى المحقق بالعُنوان الذي وضعه للكتاب وهو (المَقَابِر المَشَهُوْرَة وَالمَشاهِدُ المَزُورَة)، حيث لم يرد العُنوان في موضعه الخاص، وبهذه الصيغة في النسخة الخطية الفريدة المعتمدة في التحقيق؛ وذلك مع ملاحظة سقوط الورقة الأولى للمخطوطة التي تحمل عُنوان الكتاب، وأيضًا لم يرد العُنوان بهذه

([1]) راجع حاجي خليفة: مصطفى عبد الله (ت 1076هـ/1665م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثني، بغداد، 1941م، ج1، ص 279، ص 1778.

([2]) انظر البغدادي: إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول، 1951م؛ أعادت طبعه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص 713.

([3]) حققه ونشره عن نسخة فريدة، دار الفاروق، الأردن، الطبعة الأولى سنة (1435هـ/2014م).

الصيغة في مقدمة المؤلف، ولم يسمى الكتاب صراحة في أثناء متنه، بعد المقدمة، وكذلك لم يرد في أي مصنف آخر للمؤلف بهذا العُنوان؛ وهو في ذلك معتمدا في توثيق هذا العُنوان على ما جاء في كشف الظنون، وهدية العارفين؛ وهو لم يذكر ذلك أيضًا.

فالصواب ما أثبته المحققان؛ أحمد شوقي بنين ومحمد سعيد حنشي من أن العنوان هو: (المَقَابِرُ وَالمَشَاهِدُ بِجَانب مَدينة السَّلام وَمَواضع قُبور الخُلفاءِ أَئمة الإِسلَام)، وذلك من خلال ما باحت به الدراسة في هذه الأمور، والتي تعتبر الوسائل المعتمد عليها في توثيق عنوان الكتاب:

أولًا: ما ورد في مقدمة المؤلف من هذا الكتاب، قوله: "فهذا كتاب أذكر فيه مقابر مدينة السلام، ومن دفن فيها من الصلحاء والأولياء، والملوك والكبراء، ومشاهدها المخصوصة بإجابة الدعاء..."[1].

ثانيًا: ما ورد في متن الكتاب، قوله: "وحيث ذكرت المشاهد والمقابر بجانبي بغداد، المقصودة بالزيارة والإعظام، سأختم الكتاب بذكر تربة الأئمة الخلفاء الراشدين، صلوات الله عليهم أجمعين، لأنها مقابر مشهورة ومشاهد مزورة"[2].

ثالثًا: ما ورد في تقييد ختام النسخة المخطوطة من هذا الكتاب، قول الناسخ: "تم كتاب المَقَابِرُ وَالمَشَاهِدُ بِجَانب مَدينة السَّلم وَمَواضع قُبور الخُلفاءِ أَئمة الإِسلَام، وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب في ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خَلون من جمادى الآخرة، سنة تسعٍ وستين وسبعمائة، والله أعلم"[3].

(1) المقابر المشهورة، ص 3.

(2) المقابر المشهورة: ص 50.

(3) المقابر المشهورة: ص 79.

رابعًا: ذكره حاجي خليفة (ت1067هـ/1656م)، في كشف الظنون[1]، وإسماعيل باشا البغدادي (ت1339هـ/1920م)، في هدية العارفين[2]، بعُنوان (المَقَابِرُ المَشْهُوْرَة وَالمَشاهِدُ المَزُورَة).

فعلى هذا نرى ما يؤيد صحة تسمية الكتاب بـ(المَقَابِرُ وَالمَشَاهِدُ بِجَانب مَدينة السَّلام وَمَواضع قُبور الخُلفاءِ أَئمة الإِسلَام)، ما جاء في الوسيلة الثالثة وهو: قول الناسخ في ختام النسخة المخطوطة الفريدة المعتمدة في التحقيق، والتي تبعد عن وفاة ابن الساعي بـ(95سنة)، وأيد ذلك ما جاء في الوسيلة الأولى وهي: "مقدمة المؤلف"، وأيضًا ما جاء في الوسيلة الثالثة وهي: "متن الكتاب".

وما يضعف الوسيلة الرابعة المتمثلة في كتب الفهارس لكل من (حاجي خليفة، والبغدادي)، هو البعد الزمني بين مؤلف الكتاب ومؤلف الفهرست، لأن هذا يعطي مساحة كبيرة للوقوع في خطأ تقييد عُنوان الكتاب، مكتفيًا بذكر مختصر اسمه أو شهرته عن تحرير الاسم وتقييده كاملًا.

وأخيرًا لابد أن نشير إلى أن العُنوان الذي ورد في تقييد ختام النسخة المخطوطة ورد بهذه الصيغة "المَقَابِرُ وَالمَشَاهِدُ بِجَانب (مَدينة السَّلم) وَمَواضع قُبورُ الخُلفاءِ أَئمة الإِسلَام". هذا التغيير والتحريف[3] الموجود في كلمة (السَّلم) ناتج عن

([1]) راجع، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص 279، ص 1778.

([2]) انظر، البغدادي: هدية العرفين، ج1، ص 713.

([3]) استقر الرأي عند جمهرة العلماء في العصر الحاضر، على أن التصحيف هو: "تغيير نقط الحروف المتماثلة في الشكل"، وأن التحريف هو: "تغيير في شكل الحروف المتشابهة في الرسم"، غير أن الكلمتين مترادفتان عند جمهرة القدماء من علماء العربية، إذ يستعملان عندهم بمعنى التغيير في الحروف أو الحركات. راجع: عبد السلام هارون، تحقيق = =النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص 65-69، رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامة والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1985م، ص 124-139. وأنواع التغيير الحادث في النص على أيدى النساخ نوعان: تعمدي، واتفاقي، ومعنى هذا التقسيم واضح، فإن

الناسخ؛ والأصح ما أثبته المحققان وهو: (مدينة السَّلام)، لأمرين: الأول: هذا الاسم الذي اختاره أبو جعفر المنصور[1] ليكون "علمًا" لمدينته الجديدة، وهذا ما تؤكده غالبية المصادر الأولية المتقدمة منها والمتأخرة بالإضافة إلى ما حملته عناوين المؤلفات وما جاء في شعر الشعراء؛ ولم يثبت أن وجدنا من أطلق عليها (مدينة السَّلم)[2].

الثاني: عدم تمام السجعة في العُنوان، تلك السجعة التي اعتدناها من ابن الساعي وكذلك معاصريه من المؤرخين في أسماء مصنفاتهم.

ومن هذا نخلص إلى ثبوت وقوع التحريف في العُنوان من قبل الناسخ، وعليه يمكننا الإشارة إلى إضافة حرف الياء إلى كلمة (بجانب) التي بالعنوان لتصير (بجانبي) وذلك بناء على ما ورد في متن الكتاب من قول المؤلف: "وحيث ذكرت المشاهد والمقابر بجانبي بغداد..."[3].

وبهذا تكمل الفائدة ويشمل المعنى ويتسع، كما تكون التسمية مطابقة لمضمون الكتاب ومنهجه، فالعُنوان الصحيح هو أقدر عُنوان على وصف الكتاب وصفًا دقيقًا معبرًا في كلمات يسيرات، وبذلك يكون عُنوان الكتاب في صورته النهائية هو:(المَقَابِرُ وَالمَشَاهِدُ بِجَانبي مَدينة السَّلام وَمَواضع قُبورٌ الخُلفاءِ أَئمة الإِسلَام)، وهو العنوان الذي نطمئن إليه أكثر لأنه يستوعب؛ ولا ريب؛ المضامين الحقيقية للكتاب.

الناسخ ربما يسهو ويغفل، فيكتب غير ما هو موجود، وربما يتقدم إلى الإيضاح، وإلى ما يظنه إصلاحا، فيكتب لهذا غير ما هو موجود في الأصل.

([1]) الخليفة العباسي الثاني (136-158هـ/754-775م).

([2]) راجع، الأعظمي: عواد مجيد، كيف ساد اسم بغداد على اسم مدينة السلام والأسماء الأخرى، كلية الآداب- جامعة بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد 19، 1981م، ص 6-10.

([3]) المقابر المشهورة، ص 50.

المبحث الثاني

منهجية ابن الساعي في كتابه المقابر

المطلب الأول: منهج المؤلف في الكتاب:

بدأ ابن الساعي الكتاب بمقدمة قصيرة تبرز مضمون كتابه والهدف من تصنيفه، كما بيَّن في هذه المقدمة خطته التي سينتهجها في عرض المادة العلمية، حيث ورد بها قسمين:

الأول: مقابر مدينة السلام.

الثاني: مشاهدها المخصوصة بالزيارة والإعظام.

ومما يلاحظ على هذه المقدمة أنه صرّح أنَّ المقابر القديمة – نقلًا عن ابن طيفور– أولها مقابر (العامة) ببغداد، وهذا يعني أنَّ هناك مقابر (للخاصة) لكنه لم يشير إلى ذلك، ثم شرح بعد ذلك في تفصيل الحديث عن هذه المقابر بنوعيها:

الأول: المقابر القديمة فذكر أسماءها مجملة.

الثاني: المقابر المستحدثة.

حيث استغرق الحديث عن القسم الأول وهو من (ص5–18) وهي الواقعة في الجانب الغربي من المدينة، ومن (ص19–23) يذكر مقابر الجانب الشرقي القديمة والمحدثة بظاهر البلد، بينما استغرق الحديث عن المقابر التي بداخل البلد القديمة والمحدثة من (ص23–33)، ويقول عن النوع الثاني: "وجميع المقابر التي بداخل سور بغداد محدثة، فالتي أعلى البلد سوق العجم"[1]، ومن (ص33–35) يذكر فيها المقابر التي في أسفل البلد. هذا كله في الحديث عن القسم الأول من الكتاب وهو (المقابر) فقد استغرق الحديث عنه مجملا من (ص 5–35).

([1]) المقابر المشهورة، ص 23.

وأما القسم الثاني وهو (المشاهد) استغرق الحديث عن المشاهد التي بالجانب الغربي من (ص35-40)، ومن (ص40-46) يذكر المشاهد التي ظاهر البلد بالجانب الشرقي من مدينة السلام، ومن (ص46-49) يذكر بها المشاهد التي داخل البلد.

ويضيف ابن الساعي إليهم قسم ثالث خرج عن مقدمة كتابه، وقد خصه بذكر ترب الأئمة الخلفاء العباسيين، فيقول: "وحيث ذكرت المشاهد والمقابر بجانبي بغداد، المقصودة بالزيارة والإعظام، سأختم الكتاب بذكر ترب الأئمة الخلفاء الراشدين..."[1]. ويستغرق ابن الساعي الحديث عن هذا القسم من (ص50-74)، ويفصل القول فيهم فأما التي بالجانب الشرقي استغرق الحديث عنها من (ص50-60)، ويذكر مدافنهم بالجانب الغربي من (ص61-65)، وتكملة للإفادة المرجوة من كتابه يذكر من لم يدفن من الخلفاء العباسيين ببغداد وذلك من (ص66-74).

وختم كتابه بذكر تربتان قد أنشأتا في الأيام الناصرية، قُبر بهما ثلاث سيدات، كانت لهن مكانة وحضور في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وهن: زمرد خاتون، وسلجوقي خاتون، وبنفشا بنت عبد الله الرومية. متبعًا في ذلك الربط بين منهجين المنهج الجغرافي والتأريخ الزمني، فهو في حديثه يذكر مواضع مقابر مدينة بغداد ومشاهدها، متبع التسلسل الزمني المنظم في غالبه للمقابر والمشاهد، فيذكر المقابر القديمة أولًا ثم المقابر المستحدثة.

المطلب الثاني: لغة المصنف وأسلوبه:

بدا ابن الساعي متمكنا من اللغة كتابتًا وعرضًا، ولم يحدث أن استخدم كلمة عامية في كتابه؛ فجاء أسلوبه واضحًا سهلًا؛ أسلوب أدبي راقٍ يميل بعبارته إلى السجع غير المتكلف، لا يحتاج القارئ لفهمه إلى كبير عناء، فبدأ كتابه ابتداءً

(1) المقابر المشهورة، ص 50.

واضحًا، ولم يبدأ بمقدمات طوال ممهدات، بل ولج إلى مراده من أول الكتاب، وذكر الغرض من تصنيفه[1]، كما ختمه ختامًا واضحًا كذلك.

استعمل ابن الساعي في عرضه لمعظم موضوعات الكتاب أسلوب تميز بالإيجاز والاختصار والتركيز على الغرض، وابتعد عن السرد والاستطراد وذكر التفاصيل أو تكرار الأحداث مما جعل كتابه سلسًا متميزًا بالبساطة والوضوح. وفي الوقت نفسه لم نجد أثرًا للألفاظ العامية في الكتاب.

الإيجاز والاختصار الذي تميز به اسلوب ابن الساعي في عرض مادة كتابه " المقابر" لا يخل بسياق الأحداث ولا ينقص من المعلومات الهامة، إذ أن اختصاره – في الغالب – ينصب على أنه عندما كان يورد ذكر من دفن في مقبرة معينة يذكر البعض غالبًا المشهور منهم، ويشير إلي أن ليس هذا موضع ذكرهم، وهم مذكورون في كتابه(التاريخ الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير)[2].

يظهر موقف ابن الساعي من دولته (الدولة العباسية)، في تعبيره عند الحديث عن خلفائها؛ إذ إنه احترم الخلفاء وذكر مناقبهم، وأكد ذلك استعماله لفظة (الإمام)، وتلقيبهم بالخلفاء الراشدين[3]، وترحمه عليهم[4].

كذلك من السمات الأساسية التي تميز بها أسلوب ابن الساعي في الكتاب، ولفتت الانتباه هي طريقة إسناده[5]، وقد حرص ابن الساعي على الإسناد حرصًا واضحًا في معظم أخباره بل جعل اهتمامه به نهجا لنفسه في رواياته؛ وهنا تبرز

([1]) المقابر المشهورة، ص3.

([2]) انظر، المقابر المشهورة، ص8، ص11، ص 59.

([3]) المقابر المشهورة، ص50.

([4]) راجع، المقابر المشهورة، ص50–54.

([5]) الإسناد: هو سلسلة من المرجعيات تسبق كل رواية، للوصول إلى الراوي الأقرب للحدث.

أهمية الالتفات إلى الأسانيد بوصفها مرجعيات يعول عليها لتحديد قيمة الروايات والتأكد من صحتها.

تظهر في أسانيد روايات ابن الساعي مجموعتين:

- المجموعة الأولى: رواة أخذ عنهم مباشرة من خلال السماع والمشافهة، وهو ما يتضح من طرق التحمل التي أستعملها في أسانيده وتدل على المشافهة. مثل: "حدثني"، "أنبأني"، "أخبرني"، قرأت على"[1].

كثيرا من الأسانيد الواردة في هذا الكتاب جاءت عن طريق شيوخ ابن الساعي الذين أشتهر بالرواية عنهم كابن النجار، وابن سكينة وأبي اليمن الكندي.

- المجموعة الثانية: هم أصحاب كتب يفترض أن ابن الساعي اطلع عليها وأفاد منها في رواياته، لا سيما أن بعض مصادره كانوا من كبار العلماء المصنفين، وإن لم يصرح بأخذه من كتبهم، إلا أن طرق التحمل التي استخدمها في أسانيد رواياته مثل: "قال"، "ذكر"، " ذكره"، "فقد ذكر"، "وقد ذكر"[2]، توضح الاقتباس من مؤلفاتهم، ومن هؤلاء المصنفين: أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور، والخطيب البغدادي، وأبو الفرج بن الجوزي.

أما عن الإسناد الجمعي، وهو دمج روايتين أو أكثر في خبر متسلسل، فلم يظهر لدى ابن الساعي في هذا الكتاب، ومع ما اشتهر به ابن الساعي من عنايته

([1]) انظر، المقابر المشهورة، ص 6، ص 7، ص 9، ص 17، ص 24، ص 25، ص 37، ص 41، ص 43.

([2]) انظر، المقابر المشهورة، ص 5، ص 9، ص 12، ص 13، ص20، ص27، ص29، ص30، ص43، ص53.

بالإسناد، فإنه يبدو متسامحًا فيه أحيانًا، فقد وردت بعض أخباره بصيغة مبهمة، كقوله: "يقال"، "يُحْكَى"، "وأذكر"، "يذكر الناس"، "واتّفق"[1]، غير أن استعمالها كان محدودًا في رواياته. هكذا يمكن القول أن ابن الساعي قدم من خلال أسانيده صورة دقيقة عن المقابر وأخبارها، ساعده في كثير من الأحيان الصلة المباشرة بينه وبين رجال أسانيده، والتي غالبًا ما تنتهي عند شاهد العيان لأحداث الرواية.

من خلال الدراسة واستقراء الكتاب؛ يلاحظ أن من أهم السمات الأساسية التي تميز بها أسلوب ابن الساعي في الكتابة؛ هي الوضوح والإيجاز، مع البساطة وحسن العرض وعدم التكلف، فمن الإيجاز: تراجم الوفيات فقد اقتصر ابن الساعي على ذكر أشهر من دفن في المقبرة وهي تراجم قصيرة، لا تتجاوز السطر يذكر فيها الاسم وبعض صفاته وتاريخ الوفاة وأحيانا يزيد على ذلك، وما أدل على الإيجاز من قوله: "وقد تقدم باقي النسب"[2].

وحسن العرض وعدم التكلف: يظهر في السجع غير المتكلف له، ومن ذلك وصفه للمشهد الكاظمي[3]، فيقول: "هو مشهد قديم البناء، واسع الفناء"[4]، وفي ذكر التربة التي تحيط بالمشهد يقول: "يقصدها أهلها في أوان الزيارات وأوقات المواسم والعبادات، وحولها دور القانطين هناك من العلويين وغيرهم من الواردين"[5].

([1]) انظر، المقابر المشهورة ص 5، ص 9، ص 17، ص 22، ص 27، ص 28، ص 32، ص 33، ص 34، ص 39، ص 44، ص 46، ص 47، ص 53.

([2]) المقابر المشهورة، ص 60.

([3]) منسوب إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر.

([4]) المقابر المشهورة، ص 35.

([5]) المقابر المشهورة، ص 36.

فالبلاغة عنده إذًا "ايضاح بإيجاز"، ومما يلاحظ كذلك أنه يستخدم الأساليب المشوقة الجذابة، لكى يستحوذ على ذهن القارئ، ولا يدب الملل والسأم إلى نفسه؛ وهكذا نرى ابن الساعي مبدعًا في اسلوبه.

المطلب الثالث: منهج ابن الساعي في ذكر مقابر بغداد ومشاهدها:

أولًا: المقابر: قسم ابن أنجب الساعي مقابر مدينة بغداد إلى أربعة أقسام:

1- مقابر الجانب الغربي.

2- مقابر الجانب الشرقي.

3- مقابر أسفل البلد.

4- مقابر داخل البلد.

وذكر مواضع مقابر كل قسم على حدة، فتضمن الكتاب وصفًا مفصلًا لما تشمل عليه بغداد من القبور المشهورة والمقصودة بالزيارة، فيسرد من خلال هذا التقسيم حوالي تسعة وعشرين مقبرة، يذكر المقابر القديمة ثم المستحدثة.

والملاحظ على وصف ابن الساعي أنه أنماز بدقة المؤرخ العليم بخطط بغداد، وأزقتها، ودروبها المشهورة والمغمورة، كما حدد بدقة مواضع هذه المقابر، وحدودها ورسومها، وأسماء مسبليها، أو منشئيها، أو مجدديها.

يركز ابن الساعي في ذكر المقابر على إبراز العناصر الأساسية فيها مع بيان نسبتها أحيانًا، وإذا كان لها أكثر من نسبة ذكرها كما في (مقبرة باب حرب) حيث ذكر أنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى حرب بن عبد الله... كما ذكر أنها عرفت بمقبرة بشر الحافي، وذلك نسبة إلى بشر بن الحارث الحافي. ثم ذكر أنها تنسب أيضًا إلى الإمام أحمد بن حنبل.

كما أنه يعلل النسبة فحين ذكر أن مقبرة باب حرب منسوبة إلى حرب بن عبد الله يعلل سبب ذلك وهو كون حرب هذا هو الذي وقف هذه الأرض وجعلها مقبرة.

وعندما ذكر أنا تنسب أيضًا إلى بشر الحافي علل ذلك بأنّ بشر كان أول من دُفن بها "فنسبت إليه وعرفت به"[1].

وحين ذكر أنها تنسب إلى الإمام أحمد بن حنبل علل ذلك بدفنه فها فقال: "فكان يقال: مقبرة بشر الحافي، إلى أن توفي أحمد بن حنبل... ودفن بها، فنسبت واشتهرت به، فهي تسمى الآن مقبرة أحمد"[2].

وأحيانًا يذكر مواضع المقبرة ومكانها ويذكر ما كانت عليه قبل أن تكون مقبرة – وأحيانًا يغفل ذلك–، فمن ذلك مقبرة (الوردية) [3]. فقال: "هي مقبرة كبيرة عند سور البلد مما يلي باب الظفرية[4] ... موضع هذه المقبرة كان بستانًا فيه شجر الورد الكثير، وأنه اشتُريَ وجُعلَ مقبرة ووُقِفَتْ على الناس؛ فعرفت بالوردية"[5]. كذلك يتتبع تاريخ المقبرة وما آلت إليه ومن ذلك (اليوسفية والدنبكية) يقول: "وهما مقبرتان مقابلة الوردية من ناحية سوق العجم، دثرتا وعمرت أمكنتهما إصطبلات للأتراك والجند"[6].

كان ابن الساعي حريصًا على تعداد من دفن في المقابر من مشاهير الأعلام، يقول مثلا في تعداد دفناء مقبرة جامع المنصور: "دفن بها جماعة من أكابر مشايخ الحديث وأعيان الصوفية ومن الزهاد، وهناك قبر أبي بكر البرقاني...، وقبر أبي الزَّوْزني الصوفي، دفن بباب رباطه المنسوب إليه في سنة اثنتين وسبعين

([1]) المقابر المشهورة، ص 5.

([2]) المقابر المشهورة، ص 5–6.

([3]) الوردية: من مقابر الجانب الشرقي ذكرها ياقوت بعد باب أبرز من الجانب الشرقي قريبا من باب الظفرية. ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص 371.

([4]) الظفرية: محلة بشرق بغداد وقد نسب إليها جماعة من العلماء. ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص60.

([5]) المقابر المشهورة، ص 25.

([6]) المقابر المشهورة، ص 27.

وأربعمائة. وقبر أبي الحسين محمد بن عبد الله بن هارون الدقاق الزاهد المعروف بابن أخي ميمي. وإلى جانبه قبر أبي القاسم عُبَيْد الله بن محمد بن إسحاق بن حبابة البزاز، وكان من أعيان المحدثين في عصرٍ واحدٍ. وقبراهما عليهما تربة محوطةٌ قريبةٌ من باب عقد باب البصرة الغربي[1].

ودفن بها أيضًا قبور بني الزبيدي، وجماعة من أولاد شيخ الشيوخ على باب الرباط. ثم قبر أبي أحمد بن عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله الأمين، ومات في سنة سبعٍ وستمائةٍ، وقد دُفِنَ عنده ولداه: شيخ الشيوخ أبو الفضائل عبد الرزاق، وأبو محمد عبد الرحيم. وهناك قُبورٌ في تُربةٍ محوطةٍ لبني رئيس الرُّؤساءِ الوزراء، وجماعةٍ من الأشرافِ الخطباء"[2].

وكما رأيناه يترجم لبعض من دفن في هذه المقابر، أحيانًا يغفل عن ذلك، فمن المقابر التي لم يترجم لمن دفن بها مثل: مقبرة باب الكوفة وباب الشام، ومقبرة الكوارة يقول في وصفها: "وهي مقبرة صغيرة، دور الناس محيطة بها، وهي بين درب منيرة الكبير وبين الجعفرية، وبها قبر يزار وتشعل عنده بالليل السرج، لا أعرفُ قَبرَ مَن هو"[3]. وأيضًا مقبرة باب الخبازين[4]، ومقبرة الريان[5].

ثانيًا: المشاهد: قام ابن الساعي بتقسيم مشاهد مدينة بغداد إلى ثلاثة أقسام:

1- مشاهد الجانب الغربي.

(1) المقابر المشهورة ص 14.
(2) المقابر المشهورة ص 14.
(3) المقابر المشهورة ص 23-24.
(4) المقابر المشهورة ص 25.
(5) المقابر المشهورة ص 35.

2- مشاهد الجانب الشرقي.

3- مشاهد داخل البلد.

بعد أن ذكر ابن الساعي مواضع مقابر كل قسم على حدة، أردف ذلك بذكر مشاهد هذه المدينة المقصودة بالزيارة والإعظام، وبدأ من المشاهد أقدمها والتي بالجانب الغربي، وذكر بيان نسبته ويحدد موقع كل مشهد ومكانه، ويصف ما به من ضبات الفضة وطاسات الذهب، وقناديل وبلور، ومفروشات، ويسجل ما كتب على الشاهد، ويورد ما جاء من وصف للقبر فيما سبقه من مؤلفات، ويقدم لذلك كله بترجمة لصاحب القبر، ووصف لخلاله ومزاياه، ويستقصى ما ورد عنه من حكايات وكرامات.

ثالثًا: ترب الخلفاء العباسيين: بعد ذكره ابن الساعي لمقابر ومشاهد المدينة ختم الكتاب بذكر تواريخ وفاة الخلفاء العباسيين رحمهم الله، ومواضع دفنهم، وهي من القبور التي أطنب المؤلف في وصفها وذكر خلال أصحابها، وقسمها إلى قسمين:

القسم الأول: ذكر مدافن الخلفاء العباسيين بجانب مدينة بغداد، يقول عنه: "وحيث ذكرت المشاهد والمقابر بجانبي بغداد، المقصودة بالزيارة والإعظام، سأختم الكتاب بذكر ترب الأئمة الخلفاء الراشدين... لأنها مقابر مشهورة ومشاهد مزورة"[1].

القسم الثاني: ذكر مدافن جماعة من الخلفاء العباسيين لم يدفنوا في بغداد، فيقول: "وحيث ذكرت مدافن الأئمة الخلفاء الراشدين بجانب مدينة السلام، وقد بقى منهم جماعة لم يدفنوها هنا، رأيت أن أذكر مواضع قبورهم محافظة على أخبارهم ونقل آثارهم"[2]، وهذه غاية المؤلف.

([1]) المقابر المشهورة ص 50.

([2]) المقابر المشهورة ص 66.

وختم ابن الساعي كتابة بوصف تربتان للنساء، إحداهما تربة الجهة الشريفة سلجوقي خاتون، والأخرى تربة الجهة الشريفة زمرد خاتون، يقول ابن الساعي: "رأيت أن أختم الكتاب بذكرهما، وأنبه على فضلهما"[1].

- مادة المقابر والمشاهد:

أوجد ابن الساعي تتفاوت في مادة المقابر والمشاهد؛ وذلك حسب أهمية المقبرة أو المشهد، وأهميتهم تأتي بقيمة ومكانة من دفن بهما من المشاهير.

ففي حين تبلغ ذكر بعض المقابر أو المشاهد عدة صفحات[2]، فأحيانًا أخرى لا يتعدى بعضها بضعة أسطر[3]، وهذا يعد بالدرجة الأولى إلى مكانة من دفن بها؛ وهو شرط المؤلف في كتابه.

لكنه كان لا يكتفي دوما بسرد ما وصل إليه من أخبار المقابر والمشاهد بل يذكر ما شاهده بنفسه خلال حياته من تغيير في معالم ومآثر هذه المدينة والأمثلة في هذا الباب كثيرة نذكر منها: يقول مثلا في وصف قبة المقبرة المعروفة بالسهلية: "وفي آخرها قبة محكمة البناء لطيفة الفناء، دخلها قبر يذكر الناس أنه قبر بوران بنت الحسن بن سهل...، وقد جددت عمارة هذه القبة في الأيام المستنصرية. وحول هذه القبة رحبةٌ واسعةٌ محيطٌ بها سُورٌ، أخنت عليه الدهور، وهدمه الغرق المشهور"[4].

ويقول أيضًا في وصف مقبرتين اليوسفية والدنبكية: "هما مقبرتان مقابلة الوردية من ناحية سوق العجم، دثرتا وعمرت أمكنتهما إصطبلات للأتراك والجند، وأذكرُ الناس يدفنون فيها بعد سنة عشرٍ وستمائةٍ"[5].

وكذلك في وصف باب مقبرة العطافية: "هي مقبرة متصلة بالوردية، دفن بها أبي الفضل عبد الكريم بن عطاف التاجر في سنة خمسين وخمسمائة. وكان عطاف

([1]) المقابر المشهورة ص 75.

([2]) المقابر المشهورة ص 5 – 8، ص 20-22، ص 35-37، ص 40-44، ص 50-59.

([3]) المقابر المشهورة ص 30، ص 35، ص 46، ص 47.

([4]) المقابر المشهورة ص 22-23.

([5]) المقابر المشهورة ص 27.

قد بنى حولها سورًا عاليًا، وعمل لها بابًا رفيعًا بناه بالجص والآجر المقطوع، وكتب عليه اسمه وأدركتُ أنا هذا الباب ورأيته قبل أن ينهدم"[1].

ومنها أيضًا قوله في وصف حريق المشهد الكاظمي سنة 623هـ: "وكان هذا المشهد قد وقع فيه حريق في الأيام الظاهرية، وذلك في ليلة تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة، فأتى على القبتين والضريحين المقدسين، فأمر الإمام الظاهر بأمر الله رحمة الله عليه بإعادته كما كان؛ فوقع الشروع فيه، ثم أدركته الوفاة ولم يتممه، فلما تولى ولده الإمام المستنصر بالله قدس الله روحه تممهُ؛ فجاءَ في أحسن صنعة ونقشًا وأجمل آلةً وفرشًا، وأجرى على حيطانه الذهب، وكذلك على القبتين من الخشب، وجعل في الضريحين طاسات الذهب والفضة، تقبل الله تعالى ذلك منه، وجعله خالصًا لوجههِ"[2].

المطلب الرابع: مصادر الكتاب:

اعتمد المؤلف في كتابه هذا على مصادر كثيرة ومتنوعة أعطت له قيمة، وأبرزت أهميته للدارسين، كما سيتضح فيما يلي:

1- المشاهدة والمعاينة: ويقصد بها المعاصرة، وهى من أهم الوسائل التي شكلت مصدرًا مهمًا من مصادر ابن الساعي التي اعتمد عليها في تدوين كتابه، فهو معاصرًا لكثير من الأحداث المذكورة، يسجلها كما رآها وعرفها؛ فهو شاهد عيان على تشييد بعض المقابر وما كان يدور فيها من نشاط اجتماعي ورسمي، وتعد هذه الوسيلة من أوثق الوسائل المستخدمة في تدوين المادة التاريخية والحضارية بشكل عام.

(1) المقابر المشهورة ص 26.

(2) المقابر المشهورة ص 37.

وقد استخدم ابن الساعي هذه الوسيلة كثيرا في وصفه للمعالم الجغرافية والمعمارية للمقابر فنراه يقول: "وقد استجدت مقبرة في الأيام الناصرية في سنة خمس عشرة وستمائة ظاهر سور المشهد مما يلي مقابر حرب.[1]"، وفي ذكر مقبرة اليوسفية والدنبكية :"... دثرتا وعمرت أمكنتهما إصطبلاتٍ للأتراك والجند، وأذكر الناس يدفنون فيها بعد سنة عشر وستمائة.[2]" ، وأيضا في ذكر مقبرة الشونيزي الكبير: ".... وهي من أعيان المقابر المذكورات والمقابر المشهورات، يقصدها الناس في كل خميس ويكثر بها الغلبة والأنيس، وتباع هناك المأكولات، وتعقد السواق الدائرات، خصوصًا في أيام الربيع إذا كثرت المياه الجارية، واخضرت الرياض الزاهية، واعتدل الزمان وطاب الأوان.[3]"، وكذلك في ذكر مقبرة العَطّافيّة: ".... وكان عطاف قد بنى حولها سورًا عاليًا، وعمل لها بابًا رفيعًا بناه بالجص والآجر المقطوع، وكتب عليه اسمه. وأدركت أنا هذا الباب ورأيته قبل أن ينهدم.[4]"، وفي ذكر مقبرة الجديدة: ".... وجعلها مقبرة مسبلة، ووقفها على موتى المسلمين كافةً، وبنى على بابها عقدًا حسنًا وكتب عليه اسمه وهو باقٍ إلى الآن.[5]"، معبرًا عن المعاصرة في ذلك بقوله: "أدركت"، و"أذكر"، و"أشاهد"، و"باقٍ إلى الآن".

وعلى هذا النحو كان ابن الساعي حريصًا دائمًا على جعل وصفه لمقابر ومشاهد المدينة وصفًا حيًا، مما يجعل قارئه يشعر وكأنه يرى المقابر وزوارها مشاهدة

(1) المقابر المشهورة ص11.

(2) المقابر المشهورة ص27.

(3) المقابر المشهورة ص16.

(4) المقابر المشهورة ص26.

(5) المقابر المشهورة ص32.

العين، ولا شك أن هذه الأمور قد أكسبت كتابه أهمية خاصة بين الكتب التي تناولت توثيق مقابر بغداد حتى عصره وإلى الآن.

2- المصادر السماعية أو المشافهة: وهى من المصادر التي اعتمد عليها ابن الساعي، وتتضح مصادر تلك الروايات الشفهية من قوله: "أنبأني"[1]، و"حدثني"[2]، و"أخبرني"[3]. فنقل بعض الروايات مشافهةً عن شيوخه وأساتذته، نذكر منهم: أبو اليمن زيد الكندي[4]، والحافظ أبي عبدالله[5].

3- المصادر المكتوبة: ونعني بها المؤلفات التاريخية المكتوبة، والتي اعتمد عليها ابن الساعي، ولها صلة كبيرة بموضوعه، وقد توزعت على معظم أجزاء الفترة التي أرخ لها، على امتدادها، ما عدا الفترة التي عاصرها، فإنها بدأت تختفي أو تقل لتحل محلها مصادر أخرى، ليست من طبيعتها مثل: المصادر الشفهية أو المسموعة، وكذلك المشاهدات الخاصة.

استخدم ابن الساعي في مؤلفه، بعض المصادر المكتوبة لبعض المؤلفين السابقين، عن الفترة السابقة لزمانه، وقد استخدم ألفاظ توضح الاقتباس من مؤلفاتهم، ومن هؤلاء المصنفين: أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور، والخطيب البغدادي، وأبو الفرج بن الجوزي، وابن النجار، وكان يشير إليها أحيانًا، وفي بعض الأحيان يشير فقط إلى المؤلف. فهو يذكر أسماء المؤلفين وينص على الأخذ من مؤلفاتهم عند توثيقه الأخبار التي يدونها عنهم، فيذكر

([1]) المقابر المشهورة ص9، ص17، ص41.

([2]) المقابر المشهورة ص24، ص25، ص26، ص43.

([3]) المقابر المشهورة ص6، ص37.

([4]) هو أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي البغدادي، المقرئ النحوي اللغوي، توفي سنة 613هـ. = =أنظر ترجمته عند الذهبي: تاريخ الإسلام، ج13، ص364.

([5]) شيخه ابن النجار.

الألفاظ الدالة على أخذه من مصادر مدونه لهم بقوله: "قال"، "ذكر"، " ذكره"، "فقد ذكر"، "وقد ذكر"[1]،

- **منهج المؤلف في استخدام مصادره:**

كان ابن الساعي حين ينقل من مصنفات المؤلفين السابقين، يحرص على ذكر اسم المؤلف وكتابه فمثلا وجدناه يقول: "وقد ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتابه بغداد من جَمْعِه..."[2].

وكان أحيانًا يذكر اسم المؤلف ويغفل ذكر اسم الكتاب، فيقول: "فقد ذكر أحمد بن أبي طاهر أن أول مقابر كانت للعامة ببغداد مقابر باب حرب"[3]، وكذلك قوله: "قال أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب: مقبرة باب الشام أقدم مقابر بغداد"[4].

وكما في قوله: "ذكر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه حضر مجلس عبد الله بن أبي بكر الشاشي الفقيه الشافعي..."[5]، وأيضًا قوله: "قال الحافظ محمد بن محمود بن الحسن الشافعي: لما توفي والدي كان عمري حينئذٍ نحوًا من سبع سنين..."[6].

كما أنه اكتفى في بعض الأحيان بذكر اللقب، ومن أمثلة ذلك وجدناه في قوله: "قال الخطيب: فسمعت بعض شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديمًا تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير"[7].

([1]) المقابر المشهورة ص 5، ص 9، ص 12، ص 13، ص20، ص27، ص29، ص30، ص43، ص53.

([2]) المقابر المشهورة ص 20.

([3]) المقابر المشهورة ص 5.

([4]) المقابر المشهورة ص 12.

([5]) المقابر المشهورة ص 29.

([6]) المقابر المشهورة ص 29.

([7]) المقابر المشهورة ص 13.

وفي موضع أخر، في حديثه عن تربة الرصافة[1] التي أنشأتها الجهة السعيدة والدة الإمام المقتدر بالله[2] في سنة إحدى وثلاثمائة، يقول ابن الساعي: " وكان بها قبر أبي نصر فتح الموصلي[3] الزاهد، ذكره الخطيب، وقال: توفي سنة عشرين ومائتين، والظاهر أن شَغَبَ المذكورة طلبت بركته"[4].

من هذا يتبين أن المؤلف، عند اقتباسه من كتابات السابقين حرص على ذكر المؤلف أو الكتاب على الأقل، وقليلا ما كان يكتفي بمثل: يقال، أو يحكي.

كما يمكن القول أن ابن الساعي كان يعتمد على المصادر الشفهية والمعاصرة أكثر من اعتماده على المصادر المكتوبة.

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

1- استخدم المصنف في عرضه لمادة الكتاب ثلاث مفردات (مقابر- مشاهد- ترب)، ومن الملاحظ أنه خص استخدام لفظ (المقابر) مع من قبر من المشاهير من الأعلام وأرباب الدولة، وقد استخدم لفظ (المشاهد

(1) رصافة بغداد: بالجانب الشرقي، بها مقابر جماعة الخلفاء من بني العباس. ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص 46.

(2) السيدة شغب أم المقتدر بالله العباسي، من جواري المعتضد بالله، كان لها الأمر والنهي في خلافة ابنها. ترجمتها في: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1418هـ/1997م، ج15، ص 74-75، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص 272.

(3) فتح بن سعيد الموصلي أبو نصر الزاهد أحد كبار مشايخ الصوفية المعروف بالموصلي الصغير، له أحوال ومقامات. ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ج10، ص 483، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص 287.

(4) المقابر المشهورة ص 53.

) مع من قبر بها من أهل الشيعة، أما لفظة (الترب) فقد استدمها مع من قبر من الخلفاء العباسيين وأهل بيتهم.

2- أن المؤلف حاول ترتيب كتابه وفق التنظيم التسلسلي لتاريخ تشييد المقابر، وذلك بذكر المقابر القديمة أولًا ثم المستحدثة، وغالبًا كان يبدأ بذكر أول من قُبِر بها.

3- أن ابن الساعي جريًا على عادته في معظم مؤلفاته؛ يبالغ في إظهار الاحترام للخلفاء العباسيين، فقبور الخلفاء هي من القبور التي أطنب المؤلف في وصفها ومزاياها، وذكر خلال أصحابها.

4- أن المصنف قد ختم كتابه أكثر من مرة، هذه ملاحظة تؤكد لنا أنه كتب هذا الكتاب على عدة مراحل، في كل مرحلة يرى أن يضيف إليه جزئية جديدة لتكتمل الفائدة المرجوة من هذا الكتاب.

5- أن ابن الساعي قد خرج عن شرطه في هذا الكتاب وذلك تتميمًا للفائدة كما قال، فذكر أماكن دفن من مات من الخلفاء العباسيين خارج بغداد.

6- أن ابن الساعي وفق في وضعه لهذا الكتاب، الذي بدا فيه صاحب عقلية منظمة، وملكة تاريخية عالية، فجعل من مادة كتابه ملمة لما باح به عنوانه؛ فلم يظهر به أي عور يذكر.

7- تحدث ابن الساعي عن مراسم العزاء لكثير ممن دفن بالمقابر التي تضمنها كتابه.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

1- الإسنوي: جمال الدين عبد الرحيم (ت 772هـ/1370م)، طبقات الشافعية، ط1، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت،

1987م.

2- الأصبهاني: الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت، 1996م.

3- ابن تيمية: تقي الدين أحمد الحراني(ت 728هـ/1327م)، مجموع الفتاوي، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار، أنور الباز، ج27، ط3، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، 1426هـ/2005م.

4- حاجي خليفة: مصطفى عبد الله (ت 1076هـ/1665م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثني، بغداد، 1941م.

5- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، حققه وضبطه، وعلق عليه، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.

6- الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/997م): مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989م.

7- ابن الدبيثي: أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت 637هـ/1239م)، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1، 2006م.

8- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج50، حوادث سنة(671-680هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ/1995م.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

9- ابن رافع السلامي: تقي الدين أبو المعالي محمد (ت 774هـ/1372م)، تاريخ علماء بغداد المسمى "بالمنتخب المختار"،

صححه وعلق على حواشيه المحامي عباس العزاوي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط2، 2000م.

10- ابن الساعي: أبو طالب علي بن أنجب (ت 674هـ/1275م)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ط1، ج9، 1934م.

- المقابر المشهورة والمشاهد المزورة، ط1، تحقيق الدكتور، إحسان ذنون، دار الفاروق، الأردن، 2014م.

11- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1505م)، طبقات الحفاظ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

12- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

13- ابن طيفور: أحمد بن أبي طاهر (ت 280هـ/893 م)، كتاب بغداد، تحقيق إحسان الثامري، دار صادر، بيروت، ط1، 2009م.

14- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1418هـ/1997م.

15- مجهول: كتاب الحوادث، (نسب خطأ لابن الفوطي)، تحقيق د. بشار عواد، د. عماد عبد السلام رؤوف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

16- المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005م.

17- ياقوت: أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

18- اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد (ت 726هـ/1326م)، ذيل مرآة الزمان، 4ج، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1992م.

ثانيًا: المراجع:

1- البغدادي: إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول، 1951م؛ أعادت طبعه، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

2-روزنثال: (فرانز)، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

3- شاكر: مصطفي(دكتور)، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983م.

4- عبد التواب: رمضان (دكتور)، مناهج تحقيق التراث بين القدامة والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1985م.

5- معروف: بشار عواد (دكتور)، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1976م.

6- هارون: عبد السلام محمد (دكتور)، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص 65-69، رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامة والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1985م.

ثالثًا: المجلات والدوريات:

7- الأعظمي: عواد مجيد (دكتور)، كيف ساد اسم بغداد على اسم مدينة

السلام والأسماء الأخرى، كلية الآداب- جامعة بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد 19، 1981م.

8- فهد: بدري محمد (دكتور): المؤرخ ابن القطيعي البغدادي، المجلة العربية، العدد4، السنة5.

- ابن الدبيثي وكتابه تاريخ بغداد- مجلة المورد، العدد 3، 1974م.
- المؤرخ ابن الساعي البغدادي 674هـ/1275م، كلية الآداب، جامعة بغداد، ضمن دراسات مهداة إلي عبد العزيز الدوري.

9- القدحات: محمد عبد الله (دكتور): المؤرخ أبو طالب علي بن أنجب بن الساعي (ت674هـ/1275م) حياته وآثاره، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، سنة 2001م.

- منهجية ابن الساعي (1275/1196م) في الكتابة التاريخية: كتاب التاريخ نموذجًا، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الملك عبد العزيز، سنة (2015م/1435هـ).